موقف اليمين المتطرف الفرنسي من الجالية الجزائرية في فرنسا دراسة حالة: حزب الجبهة الوطنية - التجمع الوطني- (2001-2018)

The Position of the French Far-Right Towards the Algerian Community in France Case Study: The National Front Party - The National Rally - (2001-2018)

هشام لقريعي*
جامعة الجزائر 3
Hichemlokrai@gmail.com

نبيلة بن يحي
جامعة الجزائر3
Nani25@live.com

تاريخ الارسال:07 /06/ 2021 تاريخ القبول:01 /10/ 2021 تاريخ النشر:2021/12/31

ملخص:

تَهدفُ الدراسَّة وبشكل رئيس، إلى محاولةِ تبيان موقف أحزاب اليمين المتطرف الفرنسي من الجالية الجزائرية بفرنسا، فضلاً عن محاولة كشفها عن أهم الخلفيات والدوافع التي تجعل منها– على نحو خاص– هدفاً للتحامل والاستهداف من قبل هذه الأحزاب. كما حاولت أن تبحث أيضا، في خلفيات حضورها بشكل قاعدي في خطابه السياسي، وذلك من خلال تسليطها الضوء على حالة حزب الجبهة الوطنية. وتأتي أهميتها موازاة مع تعاظم المد اليميني المتطرّف في أوروبا وفي فرنسا على وجه الخصوص، وإمكانية وصولها لسدة الحكم في المستقبل القريب، وهو ما يشكل تحدياً حقيقياً على واقع ومستقبل الجالية الجزائرية في فرنسا، وقد اعتمدت الدراسة على توليفة من المناهج من بينها المنهج التاريخي، ومنهج دراسة الحالة، وفي الأخير توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج تلخصت في الآتي: أن أحزاب اليمين المتطرف الفرنسي ككل، تتخذ موقفاً عدائياً من الجالية الجزائرية في فرنسا بناءً على اعتبارات وخلفيات تاريخية – ثقافية.

كلمات مفتاحية: اليمين المتطرف الفرنسي. الجالية الجزائرية. الجبهة الوطنية.

Abstract: This study mainly aims to clarify the position of the French far-right parties towards the Algerian community in France, as well as to reveal the most important backgrounds and motives that makes this community; in particular; a target for prejudice and targeting by these parties. In addition, it tries to search the background of the fundamental presence of this community in its political speech by highlighting the case of the National Front Party. The importance of the study comes in parallel with the rising tide of the far-right in Europe and particularly in France, and the possibility of reaching the power in the near future. All of this constitutes a challenge to the reality and future of the Algerian community in France. The historical approach and the case study approach were the main research methods used to accomplish this study. In the end, the study resulted on that the far-right political parties as a whole in France take a hostile stance towards the Algerian community in France. This hostile position is based on historico-cultural considerations and backgrounds.

Keywords: the French far-right. Algerian community. the National Front .

***المؤلف المرسل**

مقدمة

تعد الأحداث والوقائع والتحديات التي تتعرض لها الجاليات الإسلامية في بيئتها الحاضنة موازاة مع تنامي تيارات اليمين المتطرف في الغرب، واحدة من أعقد المسائل الراهنة على المستوى الدولي، حتى أنها استقطبت أنظار المجتمع الدولي، والمنظمات الدولية، والحقوقية وأثارت اهتمام المعنيين بالبحوث الاجتماعية والسياسية ومختلف التخصصات ذات العلاقة المباشرة معها.

وتعتبر الجالية الجزائرية بفرنسا واحدة من أبرز الجاليات الأجنبية التي تعيش تحديات حقيقية وتشهد لحظات مفصلية بالنظر إلي عدة اعتبارات، ذلك أن الجالية الجزائرية في فرنسا دون غيرها من الجاليات وبإجماع الكثيرين، ظلت محافظة على تميزها وخصوصيتها وتأبى الانصهار في بوتقة المجتمع الفرنسي، كما أنها تعتبر امتداداً حضارياً للدائرة الإسلامية، علاوة على ذلك، فإن الصعود السياسي لحزب الجبهة الوطنية (التجمع الوطني حالياً) الذي يُعتبر القاطرة السياسية بالنسبة لأحزاب اليمين المتطرف الفرنسي، تُسيطر عليه ما يمكن أن نسميه بـــــ "عقدة الجزائر".

كل هذه الاعتبارات تجعل من الجالية الجزائرية موضع تحامل واستهداف من قبل تيارات اليمين المتطرف الفرنسي، كما أضحت حاضرة بشكل قاعدي في خطابه السياسي وبخاصة حزب الجبهة الوطنية.

- أهداف الدراسة:

تتخذ هذه الدراسة في ما يلي أهدافاً لها:

أ- كشف الدوافع والخلفيات الكامنة وراء التحامل والاستهداف الذي تتعرض له الجالية الجزائرية بفرنسا من قبل تيارات اليمين المتطرف.

ب- تشخيص واقع الجالية الجزائرية بفرنسا ومشكلاتها، واهم التحديات والرهانات التي قد تواجهها مستقبلاً، مع المساهمة في تقديم حلول عملية لمواجهة تلك التحديات والرهانات.

- إشكالية الدراسة:

في ظل السياق الراهن الذي تشهد فيه أوروبا أزمة متعددة الجوانب استثنائية الأبعاد، كان من بين أهم تداعياتها على المستوى السياسي تنامي تيارات اليمين المتطرف واكتساحها المشهد السياسي بقوة محققتاً بذلك نتائج سياسية تاريخية في مختلف العواصم الأوروبية. كما برز في سياق ذلك، موجة اندفاع واصطفاف غير معهود من قبل المواطنين الأوروبيين حول الأيديولوجيات المتطرفة والهويات الحمائية الرافضة للأجانب، والأقليات.

وأمام تعاظم المد اليميني المتطرّف في أوروبا لم تعد فرنسا استثناءً كما كانت عليه من قبل، فقد أضحت واحدة من بين أهم البلدان التي بات فيها هذا التيار يحقق انتصارات سياسية باهرة في مختلف الاستحقاقات الانتخابية سواء كانت محلية، أو جهوية، أو رئاسية. كما أن أغلب الدراسات والتقارير تشير إلي

أن وصول مرشح حزب الجبهة الوطنية المتطرف (التجمع الوطني حالياً) للسلطة بات مسألة وقت فقط، ولن يتجاوز على الأكثر حدود سنة 2030.

وهو ما يجعلنا نتساءل على ضوء ما تقدم، عن واقع ومستقبل الجالية الجزائرية في فرنسا موازاة مع الصعود السياسي الذي باتت تحققه تيارات اليمين المتطرف في فرنسا. كما يجعلنا نتساءل أيضاً عن الخلفيات والدوافع التي تجعل من الجالية الجزائرية – على نحو خاص– هدفاً للتحامل والاستهداف من قبل أحزاب هذا التيار.

وبالتالي، تستهدف هذه الدراسة البحث عن إجابة للتساؤل المركزي التالي: ما هو موقف اليمين المتطرف الفرنسي من الجالية الجزائرية في فرنسا من خلال دراسة حالة حزب الجبهة الوطنية؟

– فرضيات الدراسة: تنطلق هذه الدراسة من فرضيتين رئيسيتين:

– الفرضية الأولى: يتخذ حزب الجبهة الوطنية الفرنسي موقفاً عدائياً من الجالية الجزائرية بناءً على اعتبارات وخلفيات تاريخية – ثقافية.

– الفرضية الثانية: تحتل الجالية الجزائرية – دون غيرها من الجاليات الأجنبية في فرنسا– مركزية في الخطاب السياسي لحزب الجبهة الوطنية الفرنسي، لتميّزها وتمكنها من الحفاظ على استقلاليتها وخصوصيتها أكثر من أي مجموعة إثنية أخرى.

– حدود ومجال الدراسة:

بخصوص دراستنا الموسومة بـــــ الجالية الجزائرية في الخطاب السياسي لليمين المتطرف الفرنسي حالة الجبهة الوطنية 2001 – 2018، فلا شك أن الباحث لن يدرس أي جالية بل حصرا الجالية الجزائرية، ولن يدرس صورة الجالية الجزائرية في أي خطاب، بل حصرا في الخطاب السياسي (حد موضوعي)، وليس أي تنظيم سياسي، بل حصرا حزب الجبهة الوطنية في فرنسا (حد مكاني) والفترة المحصورة بين العامين المحددين في العنوان (حد زماني).

وعن مبررات حصر الباحث لدراسته زمانياً من 2001 إلي غاية 2018، فلم يكن ذلك اعتباطيا بل تحكمت فيها جملة من الاعتبارات نوردها فيما يلي:

– فعلى المستوى الدولي، مثلت أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001، نقطة تحول مهمة في جوهر العلاقات الدولية، حيث أنهت هذه الأحداث ميزّة التقاطب الإيديولوجي (شيوعية/ رأسمالية) التي طبعت مسار العلاقات بين الدول منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، وأحيّت التقاطب الحضاري/الرمزي القديم. (وفرنسا باعتبارها وحدة سلوكية في النظام الدولي، فأكيد أنها تتفاعل وتتأثر بمجريات الأحداث فيه).

– أما على مستوى الداخل الفرنسي فقد تزامنت هذه الفترة (2001)، مع حدث سياسي بارز في فرنسا، تمثل في تمكّن حزب الجبهة الوطنية بزعامة جان ماري لوبان، آنذاك، من تجاوز عتبة الدور الأول في الانتخابات الرئاسية (لأول مرة في تاريخ فرنسا السياسي، يتجاوز حزب يميني متطرف عتبة الدور

الأول)، وهو ما أعتبره البعض مؤشراً خطيراً، على وضع الجاليات المسلمة عموماً، والجالية الجزائرية على وجه الخصوص.

– أما بخصوص توقف الدراسة عند حدود سنة 2018، فقد تعمّد الباحث التوقف عند هذه السنة تحديداً رغبتاً منه في تناول الحالة الدراسية التي وقع عليها اختياره (حزب الجبهة الوطنية) تحت مسمى حزب الجبهة الوطنية لا التجمع الوطني حالياً، حيث شهد الحزب تغييراً في اسمه منذ في أواخر سنة (2018)، علاوة على ذلك أراد الباحث أن يغطي هذه الفترة الزمنية المفصلية التي عاشتها الجالية الجزائرية في فرنسا، مُفَضِلاً ترك أفاقه المستقبلية للباحثين ليناولوا الحزب تحت مسمى التجمع الوطني.

وفي محاولة لمعالجة الإشكالية السابقة، تستعرض هذه المقالة مادة موزعة على أربعة عناصر:

– **العنصر الأول:** سيتطرق فيه الباحث إلي تاريخ حضور الجالية الجزائرية في فرنسا وظروف تشكلها، وكتوطئة تاريخية سيشير الباحث إلي السياسية الاستعمارية الفرنسية وأثرها على هجرة الجزائريين إلي فرنسا، وفي تبرير ذلك، يرى الباحث أنه من غير الممكن الإحاطة بتكَوّن الجاليات في أوروبا، وأوضاعها الراهنة، من دون العودة إلى الحقبة الاستعمارية، والكشف عن الدوافع والأسباب التي أدت بالجزائريين إلي الهجرة، فمن هذا المنطلق كان لزاماً علينا في دراستنا للموضوع في شقه المتعلق بحضور الجالية الجزائرية بفرنسا، أن نَصِلَه بصلاته التاريخية، اعتقاداً من الباحث بأنها حلقة مهمة في الدراسة، وأن تَغْيِيبها يُؤدي إلي انفراط عقدها.

– **العنصر الثاني:** سيتطرق فيه الباحث إلي تيار اليمين المتطرف ككل في فرنسا، وظروف نشأته، وتطوره، وعوامل صعوده، باعتبار أن الدراسة تسعى للوصول إلي تعميمات بخصوص موقف التيار ككل من الجالية الجزائرية في فرنسا، وذلك من خلال دراسة حالة لحزب واحد ضمن هذا التيار، وهو حزب الجبهة الوطنية.

– **العنصر الثالث:** يُعني بتسليط الضوء على الحالة الدراسية للبحث (حزب الجبهة الوطنية) بتفصيل وعمق كبير، بدءً من نشأته، ومرتكزاته الفلسفية والأيديولوجية، مروراً بتطوره وصعوده السياسي، وصولاً عند مكانته في الحياة السياسية الفرنسية ومدى تأثيره فيها.

– **العنصر الرابع:** وهو لبُّ الدراسة وجوهرها، وقد عُنيَ بالتطرق إلي صورة الجالية الجزائرية في الخطاب السياسي للجبهة الوطنية، فضلا عن محاولة الكشف فيه، عن الدوافع والخلفيات التي تكمن وراء موقف الحزب وخطابه السياسي العدائي تجاه الجالية الجزائرية.

أولا: حضور الجالية الجزائرية في فرنسا

1. من حيث النشأة

تشير مُعظم الأدبيات التي أرخت لموضوع الهجرة الجزائرية نحو فرنسا، إلي أن السياسة الاستعمارية التي انتهجتها فرنسا عقب احتلالها الجزائر سنة 1830، كانت السبب الرئيس في هجرة الجزائريين نحوها.

إذ تعتبر هذه الأخيرة، أحد أهم مخرجات السياسية الاستعمارية التي انتهجتها فرنسا بالجزائر، باعتبارها الدولة التي نالت أكبر قدر من البطش والتدمير من بين كل دول مستعمراتها، وذلك قياساً بالمجهود المادي والمعنوي الذي بذلته فرنسا لإرساء دعائم مستوطنة فرنسية في شمال إفريقيا تكون بمثابة نقطة انطلاق نحو توسعها في كل أنحاء القارة الإفريقية.[1]

وفي هذا الشأن، فقد استفاض الأستاذ نيل ماك ماستر (Neil MacMaster) في كتابه الموسوم بـــــــ المهاجرون والتميز العنصري، الجزائريون في فرنسا (1900–1962)، بتفصيل وعمق كبير، عن الترابط الوثيق بين السياسة الاستعمارية وبداية الهجرة الجزائرية نحو فرنسا.

انطلاقا من هنا، يشير الباحثون المتخصصون في قضايا الأقليات، بأن وضع الجاليات في أوروبا، لا يمكن فهمه بشكل جيد، من دون الرجوع إلى المرحلة الأولى من الاستعمار لكشف جذور التمييز العنصري والتهميش.[2]

وعن التأريخ لبداية الهجرة الجزائرية نحو فرنسا، فلا يوجد تاريخ محدد لها، إذ يجد أغلب الدارسين والباحثين في هذا الشأن، صعوبة كبيرة في ضبط تاريخ محدد لبداياتها الأولى.

فقد ورد في بعض المصادر التاريخية، أن بدايات الهجرة الجزائرية نحو فرنسا في أصولها التاريخية، لم تكن وليدة مرحلة الاستعمار الفرنسي للجزائر، حيث تم الإشارة إلي الرواد الأوائل من منطقة القبائل التي بدأت طلائعهم الأولى تظهر على شواطئ البحر، كتجار يبيعون الزرابي، والصناعات التقليدية ولقب هؤلاء التجار "بالتور كوس" (Turcos).[3]

وكأي ظاهرة هجرة، ارتبط حضور الجزائريين في فرنسا بمعطيين أساسيين، نسمي الأول عوامل الطرد، ونقصد به السياسات الفرنسية التي أوجدت العوز والمجاعة في ريف الجزائر المستعمرة منذ بداية الاحتلال الفرنسي، ونسمي الثاني عوامل الجذب، ونقصد به الأوضاع الاقتصادية المغرية التي كانت تمنحها فرنسا للمهاجرين الجزائريين في ظل حاجتها لليد العاملة خدمة لمتطلبات اقتصادها.[4]

فاستعمار الجزائر بين (1830–1900) كان له تأثير مدمر وضخم على الاقتصاد وعلى بنية المجتمع التقليدية، وذلك من خلال الاستيلاء الضخم على الأراضي الزراعية وترحيل القبائل من أماكنها، وتحطيم الصناعة الحرفية، وفرض الضرائب الثقيلة، والتجنيد القسري للعمل وإفقار الفلاحين الذين كانوا بشكلٍ ثابت عرضة للمرض والمجاعة. وبهذه الطريقة أوجد النظام الاستعماري احتياطيا كبيرا من البطالة والعمالة الزراعية البائسة الفقيرة التي كانت جاهزة للاستخدام منذ عام(1900).[5]

2. من حيث التطور

وفي سياق الحديث عن موضوع الهجرة الجزائرية وتطورها، فقد اعتبرت أعمال عالم الاجتماع الجزائري عبد المالك صياد، بخصوص ظاهرة الهجرة الجزائرية نحو فرنسا بمثابة القطيعة الابستيمولوجية

مع كل الدراسات السابقة، حيث قدم نظرة نقدية للأدبيات السابقة المتحيزة، والتي ركزت على البعد الاقتصادي للهجرة الجزائرية.

عبد المالك صياد من خلال كتاباته انتقد جل الأدبيات التي أرخت لموضوع الهجرة الجزائرية والتي غابت عنها الموضوعية وظلت محكومة بنظرة أحادية(نظرة المجتمع المستقبل) داعيا إلي ضرورة التحلي بالموضوعية ومراعاة كافة الأبعاد التي تحتويها ظاهرة الهجرة الجزائرية، وذلك من خلال التركيز على فهم المجتمع الأصلي في جميع حالاته الاجتماعية، الاقتصادية، الثقافية، وعدم التركيز على المجتمع المستقبل فقط، كما كانت تفعل الدراسات السابقة.[6]

أما بخصوص تطور الهجرة الجزائرية فيقسم عبد المالك صياد الهجرة الجزائرية إلي فرنسا إلي ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: (1871-1945) وصفها صياد بهجرة لمهمة إعادة إنتاج الجماعة؛ أي أن هجرة الأفراد في تلك المرحلة تعد كمهمة من قبل الجماعة الأصلية باعتبارها المكون الرئيس للمجتمع الجزائري في تلك الفترة، فالفرد يهاجر للعمل في فرنسا بهدف ضمان الموارد المالية التي تحتاجه الجماعة.

المرحلة الثانية: (1945-1962)

تميزت هذه المرحلة بتحرر الأفراد من سطوة الجماعة (العرش)، خاصة بعد أن عمدت فرنسا إلي تفكيك نظام القبائل والأعراش.

المرحلة الثالثة:(1962- 1977)

توسعت في هذه المرحلة الهجرة الجزائرية لتشمل كافة مناطق الجزائر وبمختلف شرائها، كما كون المهاجرون مجتمع مصغر داخل المجتمع المهاجر إليه، تحكمه علاقات تضامن، ولم تعد العودة للوطن الأصلي تغريهم خاصة الشباب منهم.[7]

ثانيا: بروز أحزاب اليمين المتطرف في أوروبا

1. نحو إعادة مفهمة أحزاب اليمين المتطرف

لا يوجد اتفاق جامع مانع بين الدارسين والمتخصصين حول مفهوم أحزاب اليمين المتطرف، شأنه شأن العديد من المصطلحات التي تعاني من أزمة ضبط المصطلح في العلوم الاجتماعية، فقد يجد الباحث نفسه في ارتباك وخلط بين عديد المصطلحات التي يتم توظيفها بتسميات مختلفة للدلالة على مصطلح، "أحزاب اليمين المتطرف" مثل: اليمين الراديكالي، اليمين الشعبوي، أقصى اليمين، رغم أن لكل مصطلح خصائصه ويختلف عن الآخر من حيث حمولته الدلالية، وسياق تكونه التاريخي.

ولتجاوز هذا الإشكال، وجب علينا كأكاديميين، محاولة البحث عن مفهوم إجرائي يتسم بالوضوح والعقلانية في التعامل مع هذا المصطلح. وقبل الخوض في عملية ضبط المصطلح يستوجب علينا أولا العودة إلى البدايات التاريخية لنشأة مصطلحي اليمين، واليسار.

فالتمييز بين اليمين واليسار نشأ من داخل فرنسا، وتحديدا خلال عام (1789)، عندما ثار الخلاف في الجمعية التأسيسية حول الفيتو الملكي أي حق الملك في الاعتراض على مشروعات القوانين حيث اتجه المدافعون عن الفيتو إلي يمين المنصة كما جرى العرف بالنسبة لأصدقاء الملك، بينما اتجه معارضوه إلي يسارها، من هنا قامت الثورة الفرنسية التي نجمت عن هذا الخلاف. وعادة ما يتم تقسيم الأحزاب السياسية في أغلب الدول، إلي يمين متطرف، ويمين معتدل، ويسار متطرف، ويسار معتدل، بناءً على المواقف التي تتبناها الأحزاب السياسية الفاعلة في أي نظام.[8]

انطلاقا من هنا، اتخذ تعبير اليمين واليسار طابعا إيديولوجيا وأصبحا مفهومين مرادفين لمفهومي التقدم والتخلف، (التقدميين- المحافظين). تجدر الإشارة أيضا، إلي أن هذا التقليد في الجلوس لا يزال متبعاً في البرلمان الفرنسي إلي يومنا هذا.[9]

مايندرت فينيما (Meindert Fennema) حاول تقديم مقاربة حظيت بشبه إجماع حول الخصائص العامة لأحزاب اليمين المتطرف، حيث تناول هذه الأحزاب كنسق فكري موحد من خلال تركيزه على برامجها المعادية للهجرة، والمهاجرين (Anti-Immigration Parties) فهذه الأحزاب تحاول رسم صورة سوداوية عن المهاجرين في أوروبا، وذلك من خلال تهديدهم للهوية الوطنية، ورفضهم الاندماج في بوتقة المجتمع الأوروبي، فضلا عن اتهامهم بأنهم السبب الرئيس في تفاقم البطالة والجريمة في أوروبا، ويستغلون بسوء ما توفره الدولة من رعاية اجتماعية، وهذا ما كرس لديهم الاتكالية وجعلهم يتحايلون على امتيازات الدولة، التي يدفع ثمنها المواطن الأوروبي في شكل ضرائب تُدفع لخزينة الدولة.[10]

كذلك فينيما من خلال دراسته لمختلف البرامج السياسية لأحزاب اليمين المتطرف خَلُص إلي أن معظمها تشترك في موقفها الرافض للأجانب وخاصة المسلمين، وتروج في خطابها لكره الأقليات والتشكيك فيهم، والمغالاة في الوطنية والدفاع عن الهوية الوطنية المحددة ثقافيا ناهيك عن معارضتها لسياسات الديمقراطية الاجتماعية التي ينتهجها اليسار، إذ اعتبر أن هذه الخصائص، هي القاعدة المشتركة التي ترتكز عليها كل برامج أحزاب اليمين المتطرف.

لكن مع هذا تبقى مقاربة فينميا، غير دقيقة، ذلك أن التركيز على هذه السمات والخصائص قد يحول دون تصنيف حزب أو حصره ضمن نطاق أحزاب اليمين المتطرف فهذه السمات قد تشترك فيها كافة أحزاب اليمين باختلاف موقعها سواء كانت محافظة معتدلة، أو متطرفة.

وفي هذا السياق، تطرح بعض الدراسات المتخصصة في هذا الشأن، إشكالية التميز بين أحزاب اليمين المعتدل، وأحزاب اليمين المتطرف حاليا، وبخاصة عند اقتراب الاستحقاقات الانتخابية، فالمواقف أصبحت متماهية بشكل كبير بين التيارين، حيث أصبح يُلاحظ تماهى أحزب اليمين المتطرف مع خطاب اليمين المعتدل في بعض القضايا، وكذلك الحال بالنسبة لأحزاب اليمين المعتدل، التي أصبحت تتبنى مواقف وطروحات كانت حكرا في ما مضي على أحزاب اليمين المتطرف.

من جهته، جان ييف كامو(Jean-Yves Camus) الباحث المتخصص في قضايا اليمين المتطرف في أوروبا، يشير في دراسة له إلي نفس الإشكالية حيث ذكر: بأنه على الرغم من مرور أكثر من ثلاثين سنة منذ عودة أحزاب اليمين المتطرف بقوة، وبروزها كطرف فاعل في المشهد السياسي في أوروبا، إلا أن ذلك لم يساهم في وضع مفاهيم واضحة تتسم بالدقة والعلمية لهذه الفئة السياسية، لذا يدعوا الباحثين والمتخصصين في هذا الشأن إلي مضاعفة جهدهم النظري لتجاوز هذا الإشكال المفاهيمي نحو هذه الفئة التي تضم ما يمكن أن نسميه عادة بـــــ "اليمين المتطرف".[11]

جانس ريدغرين (Jens rydgren) اجتهد أيضا، وحاول أن يقدم لنا الأيديولوجية الأصلية التي تشترك فيها جميع أحزاب اليمين المتطرف، حيث يُجمع على أنها تشترك في خاصية كره الأجانب أو ما يعرف بـــــ "الكزينوفوبيا"، ناهيك عن مناهضتها للنظام والمؤسسات وبخاصة الفوق قومية منها، ورغم أصول المتباينة كونها تشمل عدة قوميات وأعراق متنوعة من كافة بلدان أوروبا، إلا أنها استطاعت أن تتبنى مواقف أيديولوجية موحدة تجاه قضية الهجرة، وهو ما جعلها في قلب عقيدتهم.[12]

من جانب أخر، اقترح بيرو إنيازي (PIERO IGNAZI) لتجاوز هذا الإشكال ثلاثة خصائص نستطيع من خلالها تميز أحزاب اليمين المتطرف عن بقية الأحزاب الأخرى.

أ- يجب أن تتموقع بعيدا عن الثنائية التقليدية (يمين- يسار) التي حكمت المشهد السياسي منذ اندلاع الثورة الفرنسية (1789).

ب- ضرورة ارتباطها بروابط أيديولوجية فاشية

ج- مناهضتها للنظام الدولي الرأسمالي وكل مؤسساته الدولية، وقيم الديمقراطية والعولمة.[13]

ومن جهته، يقترح الباحث لتجاوز هذا الإشكال المفاهيمي في تصنيف أحزاب اليمين المتطرف، إمكانية الفصل بينها وفقاً للمعيار الزمني. فبناءً على المعيار الزمني والذي نقصد به تقسيم هذه الأحزاب إلي فترات زمنية نعتبرها مفصلية في تحول أيديولوجيتها وتطور خطابها، كما أن لكل فترة خصائصها ومميزاتها.

الفترة الأولى: من (1922 – 1945)

تعتبر هذه الفترة، البداية الحقيقة لنشأة أحزاب اليمين المتطرف على المستوى السياسي في أوروبا، فالأزمة الاقتصادية العالمية التي عرفت بأزمة "الكساد" سنة 1929 ، والتي كان من بين أهم تداعياتها على المستوى السياسي، وصول أحزاب قومية متطرفة إلى سدة الحكم في أوروبا، ومن بينها فوز الحزب الاشتراكي القومي في ألمانيا بقيادة أدولف هتلر بانتخابات يوليو 1932 وعجلت بوصوله لسدة الحكم، ثم تحالفه مع الحزب الفاشي في ايطاليا بقيادة موسولوني سنة 1939، فيما عُرف بميثاق الصلب، والذي يربط البلدين في حالة الحرب فضلا عن إصدار موسولوني بيان عرقي تجاه اليهود، وغزو هتلر لبولندا لتتطور الأحداث إلي اندلاع حرب عالمية ثانية، انتهت بتوقيع ألمانيا لمعاهدة الاستسلام سنة 1945، مخلفة بذلك

دماراً شاملا لأوروبا، وهو ما أدى إلي حضر كافة أحزاب اليمين المتطرف، ومنع نشاطها وشعاراتها في كل مناحي الحياة.

إذا ما يمكن قوله بخصوص أحزاب اليمين المتطرف التي كانت سائدة في تلك الفترة:

هو اتسامها بالشفونية ومغالاتها في القومية، فضلا عن انتهاجها السلوك العدائي، ورفضها لقيم الديمقراطية والحداثة، وتوظيفها لكل وسائل العنف والإكراه في سبيل تحقيق أهدافها السياسية.

الفترة الثانية: من (1945-2001)

هنا تشير بيبا نوريس(Pippa Norris) الباحثة الأمريكية المتخصصة في السياسات المقارنة، إلي أن أحزاب اليمين المتطرف في البلدان الغربية تكاد تكون قد تلاشت في الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية، بفعل الدمار والمآسي الذي حلت بأوروبا، لكن مع بداية السبعينات من القرن العشرين بدأت في العودة والظهور من جديد على الساحة السياسية الأوروبية، وخلال مطلع الثمانينات برزت بقوة، وبشكل لافت للنظر.[14]

وبخصوص ما يميز أحزاب اليمين المتطرف الجديدة، عن نضيرتها السابقة، فقد نشرت جريدة الأيدلوجيات السياسية البريطانية، في عددها الصادر في أكتوبر 2004 تحت عنوان "ضد التيار": أيديولوجية اليمين الراديكالي الشعوبي المعاصر، ما يلي:

– قبولها بقواعد العملية الديمقراطية مكرهة، اقتناعا منها بأن الديمقراطية أصبحت واقعا سياسيا حتميا على المستوى الدولي، وبالتالي لا يمكن القبول بأي نظام سياسي أخر كبديل عنها، لهذا فهي تحاول التماهي مع قيمها، ومتطلباتها، وتسعي عبر خطابها السياسي الاستئثار بأذن الناخب الأوروبي، ومحاولة إقناعه، على أنها مفتاح الحل لجميع مشاكل أوروبا، بعد أن فشلت جميع محاولات الأحزاب السياسية التقليدية، التي تداولت على السلطة في حلحلتها.

– تحاول كذلك أن تبدي، تقبلها لفكرة المساواة بين الأجناس والأعراق المختلفة، وذلك بشرط أن يبدي الأجانب والمهاجرين الاستعداد نحو التماثل الثقافي مع قيم المجتمع الأصلي والانصهار في بوتقته، في محاولة منها للتخلص من الماضي العنصري التي التصق بها تاريخيا.[15]

– كذلك تحولها على المستوى الإستراتيجي من معاداة السامية إلي معاداة الإسلام (الاسلاموفوبيا)، وهذا ما يعرف في أدبياتها بإستراتيجية "تغيير الضحية"، باعتبار أن الجاليات الإسلامية اليوم باتت الحلقة الأضعف في المجتمعات الأوروبية، خلافا لليهود فبعد أن نجحوا في تأسيس كيان يجمع شتاتهم، نجحوا أيضا، في تشكيل لوبيات ضغط فاعلة ومؤثرة في كبرى الدول الأوروبية، وبخاصة فرنسا.

الفترة الثالثة: من (2001-2018)

خلال هذه الفترة يعتبر بيرو انيازي (PIERO IGNAZI) أن هجمات الحادي عشر من سبتمبر 2001، وما تلاها من هجمات إرهابية على مختلف العواصم الأوروبية، مثلت الثروة بالنسبة للأحزاب اليمين

المتطرف، حيث عززت هذه الأحداث من قوة خطابها وأطروحاتها لدى الرأي العام الغربي، وبخاصة فيما تعلق بموضوعات الهجرة والأمن.[16]

وفي نفس السياق، تشير معظم الأدبيات التي تناولت ظاهرة اليمين المتطرف بالدراسة الي فرضية الربط، بين هجمات الحادي عشر من سبتمبر2001، والعودة القوية لأحزاب اليمين المتطرف، سياسيا ومجتمعيا، كما تعتبر أن هذا الحدث هو من ساهم في إعادة بعث خطاب التطرف وانتشاره داخل الفضاء الأوروبي العام، قياسا بالتنامي الرهيب لظاهرة "الاسلاموفوبيا" في المجتمعات الغربية عقب تلك الهجمات.[17]

وموازاة مع ذلك، شهدت أوروبا والعالم خلال هذه الفترة، بروز يمين جديد للواجهة السياسية اصطلح على تسميته بـــ "اليمين الشعبوي"، حيث قلب هذا الأخير، ثوابت المعادلة السياسية التي رسمت المشهد السياسي الدولي منذ عدة عقود، وذلك بالنظر لوصول شخصيات لسدة الحكم بالرغم من قدومها من خارج الأحزاب التقليدية والطبقة السياسية، كدونالد ترامب وكبير مستشاريه للشؤون الاستراتيجية ستيف بانون (Stephen Bannon) في الولايات المتحدة ودومينيك كومنغز(Dominic Cummings) في بريطانيا.[18]

وفي تفسيره لتنامي ظاهرة الشعبوية اليمينية في أوروبا والعالم، يشير عزمي بشارة في دراسة له حملت عنوان الشعبوية والأزمة الدائمة للديمقراطية، إلي اتساع الهوة بين الأحزاب التقليدية ومواطنيها في الدول الغربية، فضلا عن تعاظم تأثير العنصر الشخصي في السياسة وهو ما يفسر لنا، فوز سياسيين من خارج أُطر النظام ومؤسساته في بعض الاستحقاقات الانتخابية.

فعلى سبيل الذكر لا الحصر، مثل فوز مرشح حركة إلي الأمام ايمانويل ماكرون في الاستحقاقات الرئاسية لسنة 2017، سابقة في تاريخ فرنسا السياسي، حيث تبوأ مرشح لا ينتمي لأي حزب سياسي منصب رئيس جمهورية.

مجمل القول في تقدير الباحث، وتأسيسا على ما تقدم أنفاً، يمكن القول:

أن أحزاب اليمين المتطرف التي برزت في الفترة المحددة من (1922- 1945) هي التي تعبر عن مفهوم أحزاب اليمين المتطرف من حيث الدِلالة اللغوية، ذلك أن أغلب الأحزاب التي سادت في تلك الفترة ارتبطت بروابط فاشية، علاوة عن رفضها لكل ماله صلة بالديمقراطية الليبرالية، كما شرعنت للعنف والتدخل القسري في سبيل تحقيق أجندتها السياسية.

أما بخصوص أحزاب اليمين المتطرف التي برزت عقب نهاية الحرب العالمية الثانية والتي حددناها من (1945-2001) فهي ليست متطرفة بالمعني الذي يحمله المصطلح من حمولة دلالية، ذلك أن كلمة متطرف العربية هي ترجمة غير دقيقة لصفة الأقصى (l'extrême) التي تطلق عادة على هذه الأحزاب باللغات الأجنبية، أي أن هذه الأحزاب في مواقفها تتموضع على الجانب الأقصى، أو الطرف من يمين الوسط، ولها وجهة نظر راديكالية إزاء بعض المسائل والقضايا كمسألة الهجرة واللاجئين مثلا، ومنه يجوز لنا استخدام مصطلح اليمين الراديكالي أيضا للدلالة عليها، ناهيك عن التمايز والاختلاف الكبير، بينها وبين

أحزاب اليمين المتطرف التي كانت سائدة لغاية نهاية الحرب العالمية الثانية، فهذه الأخيرة لا تستعمل العنف لبلوغ غاياتها، بل تخضع للقانون وتقبل بالممارسة الديمقراطية في مسارها السياسي.

أما الفترة التي حددناها من (2001-2018) فإلى جانب تحقيق أحزاب اليمين الراديكالي (أقصى اليمين) لانتصارات سياسية مهمة أوروبيا ودوليا، برزت بمعيته أيضا، تيارات ما يصطلح على تسميته "باليمين الشعبوي" كطرف محوري، في المعادلة السياسية، حيث اكتسحت هذه الأخيرة معترك الساحة السياسية بقوة، وحققت انتصارات باهرة في مختلف البلدان الأوروبية، وذلك عن طريق تمكنها من تطوير خطاب سياسي شعبوى، استطاعت من خلاله كسب ثقة المواطنين وأثرت في توجهاتهم، كما نجحت في إقناعهم، بأنها مفتاح الحل لمختلف المشاكل التي تتخبط فيها دولهم، والتي عجزت نخب الأحزاب السياسية التقليدية عن حلها.

2. عوامل صعود اليمين المتطرف في أوروبا

تُجمِع معظم الأدبيات التي تناولت ظاهرة صحوة اليمين المتطرف في أوروبا إلي ربطها بمرحلة النيوليبرالية، وذلك في محاولة لتفسير موجة الاندفاع نحو الأيديولوجيات المتطرفة والهويات الحمائية الرافضة للعولمة، والأجانب، والأقليات، وقيم الديمقراطية.

وفي محاولتهم للاقتراب من تنامي ظاهرة اليمين المتطرف، وتحديدا في كل من أوروبا وأمريكا، حاول العديد من الباحثين الانطلاق من عدة فرضيات.

البعض من الباحثين، حاول الانطلاق من المعطى الاقتصادي وذلك في محاولة لربط العلاقة بين الأزمة الاقتصادية الثانية التي يشهدها العالم بدءاً من سنة (2008)، وتنامي التيارات اليمينية المتطرفة واكتساحها للمشهد السياسي بقوة في أوروبا.

وعلى النقيض من ذلك، حاول البعض التركيز على المقتربات الحضارية الثقافية، وايلاءها أكبر قدر من الاهتمام، في محاولة منهم لتقديم تفاسير عقلانية مقنعة، تفسر الاصطفاف الكبير الحاصل خلف أجندات أحزاب اليمين المتطرف في أوروبا، وفي محاججتهم لذلك، اعتبروا أن الكثير من النزاعات لفترة المابعديات: (ما بعد الحرب الباردة، ما بعد الحداثة،) لا يمكن فهمها إلا من خلال هذه المداخل.

هذا وقد شهد مطلع القرن الواحد والعشرون، بروز الأبعاد الثقافية /الحضارية إلي ساحة النقاش السياسي، وبرزت معه إشكالية الأخر في المجتمعات الغربية، وبخاصة بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر 2001، وما تلاها من هجمات إرهابية على مختلف العواصم الأوروبية، كل هذه الأحداث مجتمعة، أدت بالكثير من الدول إلي إعادة النظر لمسألة هويتها الثقافية الحضارية ، كما أدت إلي إعادة تقييم علاقتها بجالياتها وأقلياتها.[19]

صفوة القول، يرى الباحث انه من أجل الاستيعاب الجيد لظاهرة تنامي أحزاب اليمين المتطرف في أوروبا، وجوب الاستعانة بمقاربات مختلفة وبمستويات تحليل متنوعة، وذلك بغية الإلمام بمختلف أبعاد

الظاهرة، فهناك عوامل عديدة تكمن وراء تنامي ظاهرة اليمين المتطرف في أوروبا في السنوات الأخيرة، فمنها ما هو مرتبط بعوامل ذات صلة بالتطورات الداخلية التي تشهدها مختلف الدول المنضوية داخل الاتحاد الأوروبي، وأخرى مرتبطة بسياقات دولية أضحت القارة الأوروبية جزءا منه، وتتفاعل معه.

3.اليمين المتطرف في فرنسا.

1.3. نشأة اليمين المتطرف في فرنسا

عموما، لم يكن لفرنسا السبق في اعتماد تقنية نظام الأحزاب السياسية، والتي اضطلعت بتأطير الساحة السياسية في أوروبا منذ القرن السابع عشر، فبدايات نشأتها ارتبط تاريخيا بالنظام البرلماني الذي كان سائدا في بريطانيا، أما بخصوص نشأتها في فرنسا فقد تأخر ذلك لغاية سنة 1901، ذلك أن تأطير الساحة السياسية قبل ذلك، كانت تضطلع به مجموعة من التشكيلات السياسية على شاكلة: النوادي، الجمعيات، الاتحادات، وكان من بين أشهرها نادي اليعاقبة (Club des Jacobins)، والذي يعتبر النواة الأولى لبداية نشأة الأحزاب السياسية في فرنسا الحديثة.

ومع نشأة الأحزاب السياسية في فرنسا، وبداية تأطيرها للساحة السياسية، برزت إلي الواجهة، مئات الأحزاب والتنظيمات السياسية، بيد أن هذه التنظيمات تتباين من حيث حجمها وقوتها، ودرجة تأثيرها في الحياة السياسية العامة.[20]

وعلى الرغم، من تنوع وثراء الساحة السياسية في فرنسا إلا أن أطياف المشهد السياسي ارتسم منذ عقود بالتداول على السلطة بين تيارين رئيسيين، أحدهما يمثل اليمين الفرنسي المعبر عنه بالليبرالية المحافظة، والأخر يمثل اليسار المعبر عنه بالليبرالية الاجتماعية، لكن اعتبارا من العقود الثلاثة الأخيرة، برزت أحزاب جديدة تصدرت واجهة المشهد السياسي الفرنسي، في مقدمتها أحزاب اليمين المتطرف.[21]

وعن البدايات الأولى لتشكل أحزاب اليمين المتطرف في فرنسا، يجد الباحثين صعوبة في تحديد نشأتها وبدايات تشكلها، وذلك بالنظر للتحولات والانشقاقات التي عرفتها مكونات هذا التيار، وهو ما أفضى إلي صعوبة في ضبط توجهها الفكري والسياسي الذي انتهت إليه.

بيد أن بعض الأدبيات التي أرخت لظاهرة اليمين المتطرف في فرنسا، تشير إلي أن البدايات الأولى لنشأته اقترن بالسنوات الأولي التي أعقبت الثورة الفرنسية سنة 1789، وما جاءت به هذه الأخيرة، من مفاهيم جديدة للعصر الحديث؛ أثرت في المبادئ والنظم السياسية والاقتصادية، وأدت إلي تحولات سياسية واجتماعية كبرى في التاريخ السياسي والثقافي لفرنسا وأوروبا بوجه عام. كان من أبرزها وضع حد للملكية المطلقة، والامتيازات الإقطاعية للطبقة الارستقراطية، ونفوذ رجال الدين.

وعلى اثر هذه الأحداث، نشأ يمين فرنسي متطرف مناهض للنظام الجمهوري، ويرفض كل قيم الديمقراطية و"التنوير" بالمعنى الذي أعطاه القرن الثامن عشر لهذه الكلمة، ويستلهم أفكاره من عقيدة «الله والملك» « Dieu et le Roi ».[22]

هذا وقد ميز المؤرخ رونييه ريمون (René Rémond) في كتابه الموسوم بـــــ اليمين في فرنسا منذ عام 1815، بين ثلاثة أنواع رئيسة من اليمين الفرنسي :

1- اليمين الرجعي: المناهض للثورة الفرنسية وله ارتباطات بالمسيحية الكاثوليكية، وبالعائلات الأرستقراطية، ويمثل هذا التيار حاليا أحزاب اليمين المتطرف، وفي مقدمتها حزب الجبهة الوطنية(التجمع الوطني).

2- اليمين المحافظ الليبرالي: والذي يعتبر أكثر انفتاحا وأقل ارتباطا بالأصولية المسيحية، ويعرف في أدبيات اليمين، بيمين الوسط.

3- اليمين القومي: يتخذ هذا التيار من البونابارتية (bonapartisme) مرجعا له، وقد نجح في ضم عدة تيارات مختلفة تحت شعار القومية، وقد مثل هذا التيار كل من شارل ديغول، و جاك شيراك ...[23]

وبالتركيز على تيار اليمين المتطرف، باعتباره حجر الزاوية في دراستنا، فقد اعتبر الفيلسوف وعالم الاجتماع الفرنسي ريمون أرون (Raymond Aron) أن اليمين المتطرف الفرنسي يرتكز على ثلاثة ركائز أساسية هي: مناهضة الثورة الفرنسية، ومناهضة النظام البرلماني، وتمجيده القومية التي ورثها من الحقبة البونابارتية.[24]

2.3. مراحل تطور اليمين المتطرف في فرنسا

وعن التطور التاريخي لليمين المتطرف الفرنسي، فقد ارتبط بثلاثة فترات مفصلية، بدءً من الفترة التي أعقبت الثورة الفرنسية، والذي أبدى فيها هذا التيار رفضه للتغيرات السياسية والاجتماعية التي تمخضت عن الثورة الفرنسية، مرورا بالتطورات الاجتماعية والسياسية التي شهدتها فرنسا في نهاية القرن التاسع عشر، وتحديدا في ما يعرف بقضية درايفوس (Dreyfus) والتي طرحت نقاشات فكرية وفلسفية، حول المواطنة، والوطن وقيم الجمهورية وصولا إلي أحداث الثامن من ماي (1968) والتي مهدت لإسقاط حكم اليمين في فرنسا.[25]

وجب التنويه هنا، إلي نقطة في غاية الأهمية، إذ تعتبر قضية استقلال الجزائر الحدث الأبرز الذي أبطال حالة السلام، وأحدث القطيعة بين أحزاب اليمين الفرنسي، وهو ما أسهم لاحقا في تشكل أحزاب أقصى اليمين، وفي مقدمتها حزب الجبهة الوطنية الفرنسي، والذي يعتبر من أهم الأحزاب السياسية التي تتصدر المشهد السياسي حاليا في فرنسا.

لقد مثلت قضية استقلال الجزائر محطة مفصلية، في تاريخ اليمين المتطرف الفرنسي، فقد تمخض عنها ميلاد يمين متطرف جديد، في شكل منظمة جيش سري، تولت مهمة تأسيسه الحركة البوجادية سنة 1961، وكان يهدف وقتذاك، الدفاع عن الوجود الفرنسي في الجزائر لكن اختلافهم مع ديغول حول مسألة استقلال الجزائر، واتهامهم له بالخيانة، وفشل المنظمة في اغتياله، أدى إلي تفكيك عمل المنظمة وعزل كافة أفرادها.[26]

وفي أواخر الستينات(1968)، ظهر في فرنسا اتجاه جديد عُرف في أدبيات اليمين باليمين الأوروبي الجديد، وارتبط اسمه بالمفكر آلان دي بنوا (Alain de Benoit)، الذي يعتبر المنظر الاستراتيجي لهذا التوجه، وقد نجح هذا التيار بقيادة كل من فرانسوا ديبار، وألان روبير، في لم شمل كل فرقاء اليمين المتطرف في فرنسا.

ومع بداية التصدع والانشقاق في هذا التنظيم، بدأت أصوات تنادي بالتعجيل في بناء جبهة تكون بمثابة البديل عن هذا التنظيم، فتم تأسيس الجبهة الوطنية في بداية السبعينات على يد فرانسوا دوبرات (fransois duprat)، وقد تم تعيين جان ماري لوبان رئيسا لها قياسا بخبرته الكبيرة في النضال السياسي.[27]

ثالثا: مكانة حزب الجبهة الوطنية في الحياة السياسية الفرنسية

1. نشأة حزب الجبهة الوطنية الفرنسي

من حيث النشأة، وكما تطرقنا إليه آنفاً، تأسست الجبهة الوطنية كحزب سياسي في بداية السبعينات، وبشكل أكثر تحديداً، في 5 أكتوبر (1972)، واتخذ الحزب عند تأسيسه تسمية الجبهة الوطنية من أجل الوحدة الفرنسية (Le Front national pour l'unité française)، أما بخصوص الآباء المؤسسين للحزب، فتُجمع معظم الأدبيات التي أرخت لهذا الحزب، بأن فرنسوا دوبرات (FransoiDuprat)، وفرنسوا برينيو(François Brigneau) اللذان ينتميان لمنظمة النظام الجديد (Order Nouveau)، هم من بادروا بتأسيس هذا الحزب.[28]

وقد اتخذ الحزب وضعيته القانونية كحزب سياسي من خلال تقديم أوراق اعتماده رسميا لدى محافظة باريس بتاريخ 27 أكتوبر(1972)، وتم ذلك على يد كل من بيير بوسكيه (PierreBousquet) وجون مارين لوبان (Jean-Marie Le Pen)، وقد تحدد اعتباراً من تاريخ الاعتماد الرسمي للحزب، تعيين جون مارين لوبان رئيساً رسمياً للحزب بعد التزكية والإجماع التي حظي به من قبل أعضاء منظمة النظام الجديد (Order Nouveau).[29]

لقد كان تأسيس حزب الجبهة الوطنية في تلك الفترة، يندرج في إطار رغبة أعضاء حركة النظام الجديد (Order Nouveau) التخلص من التهميش السياسي الذي كانت تعانيه مختلف التيارات الوطنية والقومية في فرنسا من جراء تبعات الحرب العالمية الثانية وكذلك أحداث ماي(1968)، فضلا عن رغبة قادة الحركة في خلق جبهة جديدة من الحلفاء.[30]

وقد استقطب الحزب في بداية تأسيسه العديد من التيارات ذات التوجهات المعارضة للنظام السياسي الفرنسي، كبقايا المدافعين عن الجزائر فرنسية، وقدماء المحاربين الفرنسيين اللذين خاضوا حرب الجزائر، والكاثوليك المتطرفون، والمناهضون للسامية، والمقاومون الوطنيون، ومناصري ديغول.[31]

وعلى مستوى الساحة السياسية ظل حضور حزب الجبهة الوطنية هامشيا لمدة قاربت العشر سنوات من تاريخ تأسيسه، وعُرفت هذه المرحلة في أدبيات الحزب بمرحلة الضعف، وكاد الحزب أن يندثر خلالها، لولا الدور الكبير الذي قام به الاستراتيجي ومنظر الحزب فرانسوا دوبرا (François Duprat).[32]

2. المرتكزات الفلسفية والإيديولوجية للجبهة الوطنية الفرنسي

إن التطرق لمسالة الهوية الفكرية والإيديولوجية لأي تنظيم سياسي هي من أعقد المسائل وأكثرها تشعباً، وهي مسألة بحاجة إلى حوارات عميقة وجادة حولها.[33] كما أن معرفة المرتكزات الفكرية والفلسفية لأي تنظيم سياسي، يعد ضرورة من ضرورات الفهم الجيد والاستيعاب لكل سلوكيات هذه التنظيمات، وبالمختصر المفيد، يُمكن القول بأن الأساس الفلسفي و النظري لأي تنظيم سياسي هو المحدد الرئيس لسلوكه ضمن نطاق بيئته السياسية.

ولهذا يقتضي الفهم الجيد لحزب الجبهة الوطنية الفرنسي التطرق أولاً إلي الأساس النظري والخلفية الأيديولوجية التي يرتكز عليها الحزب، ذلك أن المرتكزات النظرية والأيديولوجية تقع ضمن المستوى الاستراتيجي؛ أي أن سلوك الحزب في بيئته السياسية (المستوى العملياتي)، هو مُحصلة لفكره الاستراتيجي.

وبخصوص التأصيل الفلسفي والنظري لحزب الجبهة الوطنية، لا يمكن فهمه من دون ربطه بالتحولات السياسية والاجتماعية الكبرى، التي أحدثتها الثورة الفرنسية في فرنسا وأوروبا بوجه عام. فقد تمكنت هذه الأخيرة من إلغاء الملكية المطلقة، والامتيازات الإقطاعية للطبقة الارستقراطية، والنفوذ الديني الكاثوليكي. كما أدت الثورة إلى خلق تغييرات جذرية لصالح "التنوير" من خلال إرساء الديمقراطية وحقوق الشعب والمواطنة، وبرزت فيها نظرية العقد الاجتماعي لـــ جان جاك روسو، الذي يعتبر منظر الثورة الفرنسية وفيلسوفها.

لذا كان من الطبيعي أن يرتبط تيار اليمين المتطرف منذ نشأته بنظريات فلسفية اعتبرت سنداً مُهماً في بلورة هويته وأيديولوجيته. وبخصوص الأساس الفلسفي الذي يتكئ عليه حزب الجبهة الوطنية الفرنسي فيما يخص العالم الخارجي والعلاقات الدولية، نُجمِلُها فيما يلي:

- **رؤية "هوبزية" للعالم الخارجي:** لطالما نظرت الجبهة الوطنية إلي العالم الخارجي، كفضاء للصراع والنزاع بين الدول وأن النظام الدولي يسوده الفوضى الدائمة، وبخصوص الخلفية النظرية التي ينطلق منها حزب الجبهة الوطنية الفرنسي، فتتمثل في نظرية الفيلسوف الانجليزي طوماس هوبز (Thomas Hobbes) والتي وردت في كتابه "التنين"، حيث طرح هوبز فرضية أن الإنسان شرير بطبعه و ميال إلى العنف، لذلك فهو ينزع نحو الصراع مع أقرانه.[34]

- **جدلية الصديق والعدو في الفكر السياسي للجبهة الوطنية:** تستند رؤية حزب الجبهة الوطنية في تحديد العدو الخارجي، إلي التحليل الذي طوره رجل القانون الألماني كارل شميت (Carl Schmitt)، حيث أحدث كتابه «مفهوم السياسي» تأثيرًا كبيرا على كل التيارات المناهضة لليبرالية، وبخاصة اليمينية المتطرفة،

وفي ثمانينيات القرن العشرين، أعاد أكاديميون غربيون من اليسار واليمين بعث أفكار شميت من جديد، وأعادوا له الاعتبار عن طريق الاستفادة من إرثه الفلسفي، حيث يعتبر هذا الأخير: إنّ عَالَمًا بدون تمييز بين الصديق والعدو هو بالتالي، عالم بلا سياسة»، والمجتمع لكي يكون مجتمعاً حيوياً بحق، يحتاج إلى أعداء. إذ كيف يمكن لدولة ما (أو كيان سياسي) البقاء على قيد الحياة إذا كانت غير راغبة في شن الحرب في أسوأ الحالات، أو لا تعرف من هم أعداؤها.[35]

– **نظرة دفاعية تبريرية للحرب** (Une apologie de la guerre): بخصوص موقف الجبهة الوطنية من الحرب، والنظرة العدائية للعلاقات الخارجية عموماً، لا يمكن فهمها واستيعابها، من دون الإشارة إلي الصورة الايجابية التي عمل على ترسيخها الآباء المؤسسون للجبهة حول مفهوم الحرب، فهؤلاء دافعوا عن ما يسميه عالم الاجتماع ألان بيير (Alain Bihr): بـ "التصور الأوبوليمولوجيكي للوجود« Une» Conception eupolémologique de l'existenc فبالنسبة لها، (الجبهة الوطنية) فالحياة : هي في الأساس صراع، وقتال، وانتصار، كما تعتبر أن الصراع الوجودي هو ضروري؛ و هو من يحقق لنا الفضيلة، فمن خلاله سيتحقق الخير والأفضل، لأن الصراع في النهاية سيختار الأقوى والأفضل، ولهذا أصبح مفهوم الحرب، والصراع، والنضال، من المفاهيم الراسخة في الحزب.[36]

– **البعد العرقي للأمم:** ويعتبر جون مارين لوبان، نقاء العرق وصفاءه، بمثابة الاسمنت الذي يحقق وحدة الأمة وتماسكها وانسجامها، وبدون ذلك(نقاء العرق) لا يمكن تجنب الحروب الأهلية في أي مجتمع. وفي هذا الشأن اعتبر برنار لوجان (Bernard Lugan) ذوي الأصول الإفريقية وعضو المجلس العلمي لحزب للجبهة الوطنية خلال سنوات الثمانينيات، أن سبب كثرة النزاعات في القارة الإفريقية مرده إلي المزيج العرقي، وهو ما جعل القارة الإفريقية تعيش دائما في دوامة من الحروب والاضطرابات، ومن أجل وقف ذلك فمن الضروري إعادة توزيع عرقي للأفراد، باعتباره السبيل الوحيد لخلق دُول قابلة للتعايش على أساس الانسجام العرقي. وفي هذا الشأن، اعتبر بعض الباحثين أن كتابات وأفكار فيلسوف الظواهر والأنطولوجيا الوجودية الألماني مارتن هايدغر (Martin Heidegger) من أبرز المصادر الملهمة لهذا التيار، حيث وُظفت فلسفته في إضفاء الشرعية على الشعبوية والعنصرية الثقافية لليمين المتطرف الحالي، وفي مقاله بموقع "الديمقراطية المفتوحة" (Open Democracy) أشار الأكاديمي جوليان غوبفارت المتخصص في دراسة اليمين الجديد والأيديولوجيات القومية وفلسفاتها، أن معظم الأفكار والمقولات والرموز التي يتم توظيفها من قبل تيارات اليمين المتطرف الأوروبي، هي في الأصل مُسْتَقَاة من أفكار الفيلسوف الألماني مارتن هايدغر.[37]

مناهضة الهجرة والمهاجرين: على العموم، يَرِدُ لفظ مهاجر في الخطاب السياسي لليمين المتطرف الفرنسي، على سبيل الحصر لا التعميم أي؛ للدلالة فقط على الأشخاص اللذين ينتمون في أصولهم إلي الدائرة المغاربية (مهاجروا المغرب العربي)، أو إلي منطقة إفريقيا جنوب الصحراء، أو إلي الأشخاص

اللذين يدينون بالديانة الإسلامية؛ بالرغم من أن فرنسا تاريخياً، فتحت أبوابها على مصراعيه أمام الهجرة من كل بقاع الأرض، وبخاصة خلال الحربين العالميتين الأولى والثانية. وبالعودة إلي حزب الجبهة الوطنية الفرنسي، فتحتل قضية الهجرة والمهاجرين أولوية في أجنداته ومركزية في خطاباته السياسية، ما جعل أحد الباحثين يشبه هوس الحزب بقضية الهجرة والمهاجرين: بأن الحزب مصاب بما يُعرف طبياً "باضطراب الوسواس القهري"، حيث تدعو رئيسة الحزب مارين لوبان في كل مناسبة، إلي ضرورة تغيير السياسة العامة للدولة الفرنسية في مجال الهجرة تغييراً جذرياً، وذلك لأسباب تتعلق بالهوية، وأخرى لها ارتباطات بالمجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وقد صرحت: "بأنه حان الوقت لوقف الهجرة، فمن غير المعقول أن تحتل فرنسا الصدارة في عدد المهاجرين الوافدين إليها، من بين كل دول التحاد الأوروبي، لذا يجب أن يتوقف هذا "العبث" ليس لمصلحة الشعب الفرنسي؛ بل أيضاً لمصلحة المهاجرين أنفسهم لأننا لا نملك سوى البؤس كي نقدمه لهم".[38]

– **معاداة الإسلام ومعتنقيه:** وجب التنويه أولاً، إلي أن حزب الجبهة الوطنية الفرنسي، منذ نشأته ضم في صفوفه مجموعة من الكاثوليك التقليديين، فضلاً عن أن للحزب ارتباطات وامتدادات وثيقة بالديانة المسيحية الكاثوليكية، وكما تم الإشارة إليه سابقاً، فمن الأسباب التي رجحت كفة جون ماري لوبان لتولي رئاسة الحزب، هو بعده عن الكنيسة، إذ لم تكن تبدوا عليه ملامح التدين، ولم يكن يرتاد دور العبادة، وكان بعيد كل البعد عن ممارسة الطقوس الكاثوليكية، لذلك رأى الرواد المؤسسون للحزب بأن جون مارين لوبان، الرجل المناسب لأن يكون واجهة سياسية للحزب، وذلك لإبعاد الشبهة عن ارتباطات الحزب الوثيقة بالكنيسة الكاثوليكية المسيحية.

وبالتالي فالجذور التاريخية للحزب وارتباطاته الوثيقة بالكنيسة الكاثوليكية المسيحية جعلت من معاداة الدين الإسلامي ومعتنقيه عقيدة راسخة في الحزب.[39]

– **تمجيد "الاستعمار الفرنسي:** تُستَمَدُ رؤية اليمين المتطرف للسياسة الاستعمارية الفرنسية، انطلاقاً من الخلفية السياسية والاجتماعية للمنخرطين فيه، حيث يضم الحزب قدماء المحاربين وكل الذين يشعرون بخيانة الدول الفرنسة لهم وللمجد الاستعماري الفرنسي. ويضم الحزب في صفوفه قدماء من عاشوا في الجزائر إبان احتلالها الذي استمر 130 عاما. وينتمي الكثير منهم إلي المنظمة العسكرية السرية وجبهة الجزائر الفرنسية المتطرفة.

وبالعودة إلي مسألة استقلال الجزائر، فقد شكل اليمين المتطرف الفرنسي منظمة جيش سري، تولت مهمة تأسيسه الحركة البوجادية سنة 1961، وكان يهدف وقتذاك، الدفاع عن الوجود الفرنسي في الجزائر، وقد اختلفوا مع ديغول حول مسألة استقلال الجزائر، واتهموه بالخيانة، ليصل الأمر حتى لمحاولة اغتياله.[40]

انطلاقاً من هنا، يمكننا فهم خلفيات ودوافع تمجيد اليمين المتطرف الفرنسي بصفة عامة، وحزب الجبهة الوطنية على نحو خاص، "للظاهرة الاستعمارية" التي شهدتها فرنسا منذ القرن الثامن عشر، فاليمين

المتطرف الفرنسي متشبع بالفكر الكولونيالي، ولا يزل إلي غاية اليوم ينظر للظاهرة الاستعمارية أو بما يعرف بـــــ "تاريخ المستعمرات"، نظرة ايجابية، ويعتبر أن الاستعمار كان مجرد عملية "لتبادل الثقافات" ذلك أن فرنسا أرادت أن تتقاسم ثقافتها مع شعوب إفريقيا وآسيا وأمريكا الشمالية، لذا لا يجب أن تتهم فرنسا بتهمة الاستعمار" !.

3. الصعود السياسي للجبهة الوطنية في فرنسا

كما تم التطرق إليه سابقاً، تميز المسار السياسي للجبهة الوطنية في السنوات الأولى التي أعقبت نشأتها، وتحديدا من سنة (1972–1981) بالضعف والهامشية السياسية (وعُرفت هذه المرحلة في أدبيات الحزب بمرحلة الضعف، فقد كاد الحزب أن يندثر خلالها) لأسباب فصلنا فيها سابقاً.

وبخصوص أو تجربة انتخابية للجبهة الوطنية كانت عقب مشاركتها في الانتخابات التشريعية لسنة 1973، وكما تم التطرق إليه، فالنتائج التي حققتها الجبهة الوطنية خلال العقد الأول من تأسيسها، وبخاصة في السنوات الأربع الأولى لم تتجاوز حدود 1 ٪، وجب التنويه هنا، إلي أن الجبهة الوطنية خلال هذه المرحلة لم يكن لها ممثلين عبر كامل التراب الفرنسي، باستثناء بعض الدوائر الانتخابية.[41]

ومع بداية الثمانينيات وعقب فشلها الذريع في استيفاء نصاب التنافس على الانتخابات الرئاسية لسنة 1981، استثمرت الجبهة الوطنية في الأزمة التي شهدتها فرنسا أثناء حكم اليسار، وكذا الأزمة العالمية التي انعكست على الوضع الاقتصادي الفرنسي (أزمة البترول الأولى 1973 والثانية سنة 1979)، والتي كان من أهم تداعياتها على الداخل الفرنسي، ارتفاع معدلات البطالة، وتفاقم العجز المالي وتنامي التضخم... حيث استغلت الجبهة هذه الأوضاع، وطورت خطاباً شعبوياً، وظفت فيه قضايا الهجرة والأمن توظيفا سياسياً، وحققت بذلك انتصارات مهمّة بين 1981 و1983، حيث حصلت في الانتخابات التشريعية على 13.6% في مدينة غراند سانت (Grande-Synthe) و12.6٪ في مدينة درو الغربية (Dreux).[42]

ويمكن القول بأن الصعود السياسي لليمين المتطرف الفرنسي منذ بداية سنوات الثمانينيات؛ له ارتباط وثيق بفترة حكم الرئيس الراحل فرانسوا متيران، ذلك أنه عمل على إخراج اليمين المتطرف الفرنسي من قوقعته، بِدَلِيل أن تيار اليمين المتطرف طيلة فترة حكم اليمين الجمهوري، لم تكن تتجاوز نسبة الأصوات الذي كان يتحصل عليها حدود 1%.

ومنذ أن تولت مارين لوبان رئاسة الحزب، لم تتعثر في مشوارها الانتخابي في كامل الاستحقاقات التي شهدتها فرنسا منذ العام 2011، فحصلت على 18.03% في رئاسيات 2012 بفارق 8% من نسبة ما تحصل عليه والدها في رئاسيات 2007، وفيما يتعلق بالانتخابات التشريعية للسنة ذاتها تحصلت على 13.77% مقارنة مع نسبة 4.29% التي حصل عليها الحزب في انتخابات 2007، وبالتالي فقد كللت الإستراتيجية التي انتهجتها الجبهة الوطنية لتلميع صورة الحزب وإيقاف الشيطنة الإعلامية حوله، بالنجاح، بدليل أن عدد من استطلاعات الرأي أشارت إلي تراجع الذين يشعرون أن الجبهة الوطنية تشكل خطراً على

فرنسا من 70 في المائة إلى 53 في المائة، في مقابل تنامى شعور عدد كبير من الفرنسيين ممن يشعرون بأن حزب الجبهة الوطنية هو حزب عادي على شاكلة الأحزاب الأخرى.[43]

4. الصعود السياسي للجبهة الوطنية وتداعياته على الساحة السياسية الفرنسية

مما لا شك فيه، أن الصعود السياسي للجبهة الوطنية كانت له انعكاسات بالغة على الساحة السياسية الفرنسية، الرسمية والغير رسمية على حد سواء، ذلك أن الجبهة الوطنية تمكنت عبر خطابها السياسي من كسر الطابوهات السياسية، وبخاصة فيما يتعلق بمواضيع الهجرة، والإسلام، والعلمانية، والاندماج والمواطنة...، وأضحت كل هذه المواضيع في صميم النقاش السياسي الراهن في فرنسا، بعد أن كانت في وقت مضى خارج النقاش السياسي باعتبارها من المواضيع التي تهدد الأمن والاستقرار المجتمعي.

إن الصعود السياسي للجبهة الوطنية، فضلا عن الثقل والمكانة المحورية التي أصبحت تحضي بها في رسم معالم المشهد السياسي في فرنسا، مكنتها من فرض تصوراتها وتوجهاتها في الحياة السياسية الفرنسية، وأضحت كل الأحزاب باختلاف مواقعها يميناً ويساراً، في تطبيعٍ مع خطاباتها وشعاراتها.

وفي هذا الشأن، يوضح إيدوي بلينيل (EDWY PLENEL) في كتابه من أجل المسلمين (Pour les musulmans)، كيف انحازت مختلف الأحزاب والتيارات السياسية، من مختلف الأطياف، من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار؛ وكذلك الطبقة المثقفة بوعي أو بدونه، لمواقف وطروحات الجبهة الوطنية العنصرية، فأضحت تعيد إنتاج نفس خطاب الجبهة الوطنية، مع محاولة تغليفه بإضفاء نوع من التحليل الموضوعي والرصانة الفكرية عليه. علماً بأن أهدافها انتخابية محضة ولا تتجاوز الرغبة في استقطاب أكبر عدد ممكن من أصوات الناخبين اللذين وقعوا ضحية لترهيب ممنهج من قبل وسائل الإعلام.[44]

رابعاً: صورة الجالية الجزائرية في الخطاب السياسي لحزب الجبهة الوطنية الفرنسي

منذ نشأتها تسجل الجبهة الوطنية هجوماً على الجالية الجزائرية بفرنسا سواء ضمن تجمع المهاجرين أو ضمن الجالية المسلمة ككل أو باعتبارهم جزائريين، وعن خلفيات الاستهداف والتحامل المتكرر لحزب الجبهة الوطنية الفرنسي تجاه الجالية الجزائرية، أفاد أستاذ العلوم السياسية بجامعة "إيفري فال ديسون" (UEVE) أوليفييه لو كور غراندمايسون (Olivier Le Cour Grandmaison)، بأن عداء اليوم يُفهم من الماضي، فخسارة فرنسا للحرب ضد الجزائر على المستوى السياسي والعسكري أدت إلي تأجيج مظاهر العداء والكراهية تجاه الجالية الجزائرية بفرنسا، كما أكد أن الادعاءات التي مفادها أن سبب مشاكل وأزمات المجتمعات لتي تتعرض للتمييز والعنصرية هو عاداتها الدينية والثقافية، "ما هي إلا طريقة تقليدية كثيرا ما يستخدمها العنصريون والمعادون للإسلام".[45]

كذلك يُشير الباحثون المتخصصون في قضايا الأقليات، إلي أن الإلمام بأوضاع الجاليات في أوروبا، لا يمكن فهمه واستيعابه بشكل جيد، من دون الرجوع إلى المراحل الأولى من الاستعمار وذلك لكشف جذور التميز العنصري والتهميش الذي تعانيه اليوم.

وفي نفس السياق فقد أشار الأستاذ نيل ماك ماستر (Neil MacMaster) في كتابه الموسوم بـــــــ المهاجرون والتميز العنصري، الجزائريون في فرنسا (1900-1962)، إلي نفس الطرح ، معتبراً أن الأسباب التي تجعل من الجالية الجزائرية – بنحو خاص – هدفا للتحامل والاستهداف من قبل تيارات اليمين المتطرف، هو تمكنها من الحفاظ على استقلاليتها وخصوصيتها أكثر من أي مجموعة إثنية أخرى.

إن الدور المحوري الذي تضطلع به الجالية الجزائرية قياسا بحجمها وقوة تأثيرها، مكنها من بسط نفوذها وفرض تصوراتها على باقي الجاليات الأخرى، هذا النفوذ يراه حزب الجبهة الوطنية الفرنسي إمكانية لبروز أقليات مسلمة مستقبلا قد تطالب بالانفصال وحق تقرير المصير، أو قد تتمكن هذه الأقليات المندمجة مستقبلا من قلب المعادلة الديموغرافية في فرنسا، موازاة مع ارتفاع معدلات الإنجاب في أوساطها، في مقابل انخفاضها لدى الفرنسيين.[46]

يمكننا أيضا بناءً على المعطى الديموغرافي- الحضاري، أن نفهم خلفيات استهداف الجبهة الوطنية المتكرر للجالية الجزائرية عبر خطابها السياسي، فالجالية الجزائرية علاوة على تفوقها العددي (أكبر جالية من حيث العدد) فهي في انتمائها امتداد حضاري للدائرة العربية الإسلامية، كما أنها تضطلع بنسبة كبيرة بمهمة الإشراف على تسيير وإدارة الأوقاف في فرنسا من خلال مسجد باريس الكبير – تربط الجزائر بفرنسا اتفاقية بشأن انتداب أئمة ومؤطرين للإشراف على مسجد باريس وفروعه بفرنسا سنويا- لهذا تنظر الجبهة الوطنية للجالية الجزائرية على أنها الراعي الرسمي لشؤون الإسلام والمسلمين في فرنسا، خصوصاً إذا عرفنا أن لحزب الجبهة الوطنية روابط وجذور عميقة بالكنيسة المسيحية الكاثوليكية.

إن ما يفسر الاستهداف والتحامل التي تتعرض له الجالية الجزائرية باستمرار من قبل حزب الجبهة الوطنية الفرنسي، مرده إلي نموذج المواطنة الفرنسي الذي بدأت تطرأ عليه في الفترة الأخيرة علامات الإعياء، متأثراً بأفكار الجبهة الوطنية وأحزاب اليمين المتطرف ككل، والتي تعمل على إعادة تعريف المواطنة الفرنسية بناءً على الانتماء العرقي الحضاري، وترفض مبدأ القبول بالمواطن المختلف، حتى وان كان فرنسيا منذ الجيل الثالث والرابع، كما هو حال مع أبناء الجالية المغاربية، والجزائرية تحديداً.[47]

هنا يمكن الإشارة كمثال، إلي المهاجرين الجزائريين من منطقة القبائل اللذين حطوا الرحال في فرنسا قبل دخول عائلة الرئيس الفرنسي الأسبق نيكولا ساركوزي إليها بمدة طويلة فالنموذج الفرنسي الذي تبنى عائلة ساركوزي المجرية اليهودية بعد إجراء "مقايضة" حول اسم العائلة المجري اليهودي الذي كان مطلوبا أن تتم فرنسته للقبول به، هو النموذج الذي يرفض إدماج المهاجرين الجزائريين، إلا بشرط تخليهم عن كل ما يمت بصلة لانتماءاتهم الأصلية، كالاسم والدين والثقافة وطريقة اللباس، وحتى لون البشرة الطبيعي.[48]

علاوة على ذلك، يعتبر العزوف السياسي للجالية الجزائرية بفرنسا من بين أهم الأسباب التي تفسر لنا موجة التحامل والاستهداف التي تتعرض له باستمرار من قبل أحزاب اليمين المتطرف وبخاصة حزب الجبهة الوطنية، ذلك أن عزوفها واستقالتها عن الممارسة السياسية فتح المجال *على مصراعيه* لاستهدافها؛ بل

ولتوظيفها كمطية من قبل أحزاب اليمين المتطرف خدمة لطروحاتها في المواعيد الانتخابية. فعلى سبيل الذكر تُأسِس زعيمة اليمين المتطرف مارين لوبان حملتها الانتخابية -كما جرت عادتها- على معادة المهاجرين والأجانب، وخصت المسلمين منهم بنصيب هام من شعاراتها الانتخابية. حيث ورد في خطابها السياسي في أكثر من مناسبة بأن الخطر الأول الذي يهدد هوية فرنسا هو الإسلام والمسلمين، ولم تتردد في الخلط المتعمد بين الإرهاب والإسلام، أو ما تسميه هي "الفاشية الإسلامية ".[49]

إن عزوف الجالية الجزائرية عن الشأن السياسي الفرنسي أفقدها مكانتها وجاذبيتها لدى مختلف الأحزاب والقوى السياسية الفرنسية، فالجالية الجزائرية رغم حجمها الديمغرافي والتاريخي إلا أن مشاركتها السياسية ظلت محدودة ومحتشمة، إذ أن غياب الثقافة السياسية والوعي المدني – اللذين يفرضان الالتزام بالمشاركة في صياغة المحيط الاجتماعي والسياسي للفرد والمجموعة- شكل عائقا حال دون التأثير في هذا المحيط بل والحضور فيه.[50]

وفي نفس السياق يشير بعض الأكاديميين إلي أن الجالية الجزائرية والإسلامية عموماً، بالرغم من أنها أول المستهدفين من قبل تيارات اليمين المتطرف في فرنسا، إلا أنها تتصرف وكأن الأمور لا تعنيها من قريب أو بعيد، هذه اللامبالاة أسهمت في تقوية التيار انتخابياً مما جعله لا يهدد الأجانب فحسب بل المبادئ المؤسسة للجمهورية الفرنسية. ورغم أن الجاليات الإسلامية يمقتونه فإنهم لا يترجمون مواقفهم إلى ممارسات عملية. فالناخبين الفرنسيين من أصل عربي (مغاربة أساساً) يمثلون حوالي مليون ونصف مليون ناخب، إلا أنهم لا يشكلون ثقلاً سياسياً في الانتخابات وذلك لجملة من الأسباب نلخصها في عاملين

- **العامل الأول:** يتمثل في غياب الثقافة السياسية في أوساط هؤلاء حيث لم تألف العائلات العربية الفعل السياسي، ذلك أن الآباء والأمهات الذين يحملون الجنسية الفرنسية وبحكم محدودية تعليمهم لم يعيروا أهمية لذلك، فكان أن افتقرت هذه الأسر إلى ما يمكن أن نسميه بالحس المدني أو ثقافة التصويت. وعليه فقد سار الأولاد على نهج أبائهم رغم أنهم يتمتعون بالجنسية الفرنسية.[51]

- **العامل الثاني:** يكمن في أن هذه الجالية مازالت تعاني من مشاكل عديدة، فإضافة إلى تمركزها في أحياء على أطراف المدن الكبرى، إذ تعاني التمييز العنصري في أهم مجالات الحياة اليومية: العمل والسكن. كما أنه رغم الحديث عن دمج المهاجرين في المجتمع والإطناب في الخطاب عن المساواة بين الفرنسيين، فقد بقيت الجالية العربية الإسلامية غير ممثلة في الهيئات المنتخبة الفرنسية، فلا يوجد أي عربي في البرلمان الفرنسي بغرفتيه (الجمعية الوطنية ومجلس الشيوخ).[52]

الخاتمة

من خلال دراسة حالة الجبهة الوطنية (التجمع الوطني حالياً)، وأخذاً في الاعتبار، بعض الخصوصيات التي يتمايز بها الحزب عن بقية أحزاب اليمين المتطرف في فرنسا، يمكن التعميم بالقول بأن أحزاب اليمين المتطرف الفرنسي ككل، تتخذ موقفاً عدائياً من الجالية الجزائرية في فرنسا بناءً على اعتبارات وخلفيات

تاريخية – ثقافية، ناهيك عن أن موقف حزب الجبهة الوطنية العدائي من الجالية الجزائرية لاعتبارات فصلنا فيها آنفا تنسحب على بقية كامل القوى اليمينية المتطرفة في فرنسا، ذلك أن حزب الجبهة الوطنية يعتبر القاطرة السياسية التي تقود وتنسق بين قوى كل هذا التيار في فرنسا، علاوة على ذلك فقد شاهدنا قوة التأثير السياسي للحزب على كل القوى السياسية باختلاف مشاربها وأضحت برمتها في تطبيع واضح مع خطاب الجبهة وشعاراتها وأيديولوجيتها.

وعليه، وفي سياق ما تقدم، تطرح الدراسة جملة من التوصيات التالية:

– لا بد للجالية الجزائرية في فرنسا من تنظيم نفسها في شكل مجلس أعلى يحمي مصالحها ويحقق أهدافها، فقد أثبتت تجارب الآخرين، وبخاصة تجربة الجالية اليهودية في أوروبا في شقها التنظيمي، فعالية هذا الطرح.

– إن استناد الجالية الجزائرية إلي عامل التنظيم يقوي من نفوذها، ذلك أن عامل التنظيم يشكل بعدا مهما لأي جالية، فمن خلاله، يصبح حضورها أكثر قبولا مجتمعيا وسياسيا، كما أنه يساهم في تعزيز موقفها التفاوضي في سعيها نحو تحقيق أهدافها ومصالحها.

– على أفراد الجالية الجزائرية في فرنسا أن يعملوا على الاندماج التام في المجتمع الفرنسي– دون فقدان هويتهم – وأن يستفيدوا بكل ما تمنحه لهم حقوق المواطنة بما في ذلك المواطنة السياسية، لذا هم مطالبون بالانخراط بقوة في الحياة السياسية الفرنسية مع الحرص على إنشاء الأحزاب السياسية التي تمثلهم، فضلا عن دعم السياسيين والمناضلين الجزائريين حتى يتمكنوا من الوصول إلي مراكز صنع القرار.

الهوامش:

[1] – محمد رزيق، **الجرائم الفرنسية: شهادات واعترافات أكبر قادة وضباط فرنسا وخبرائها العاملين في الجزائر خلال الفترة 1830–1887 أخطر مرحلة مرت بها الجزائر في تاريخها الحديث**، (الجزائر: دار قرطبة للنشر والتوزيع، 2018) ص 7–13.

[2]– هاشم نعمة، **الجزائريون في فرنسا.. الهجرة والهوية الوطنية**، جريدة الشرق الأوسط عدد 8292 أغسطس 2001.

[3]– Rager Jean-Jacques, **Les musulmans algériens en France et dans les pays islamiques**, (paris, 1950) p. 125.

[4] - Emmanuel Blanchard**, *Histoire de l'immigration algérienne en France (1900-1990)*, Paris,** La Découverte, 2018. p 128.

[5] -هاشم نعمة فياض، **هجرة العمالة من المغرب إلى أوروبا هولندا نموذجا: دراسة تحليلية مقارنة**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2011، ص 26.

[6] عبد الله بلعباس، **عبد المالك صياد (1933–1998) سوسيولوجيا الهجرة: من الغياب المزدوج إلي الحضور المزدوج**، مجلة الفكر المتوسطي، عدد ديسمبر2015، ص 134– 135.

[7]- Thomas Lacroix et Julie Lemoux, **D'Abdelmalek Sayad à aujourd'hui : revisiter les « âges » de l'émigration algérienne,** e-Migrinter, avril 2019, p4

[8]- Jean Vavasseur-Desperriers, **Les droites en France,** Presses universitaires de France, Paris 2006, p.128

[9]– دلال العكيلي، **مفهوم اليمين واليسار**، شبكة النبأ المعلوماتية، تم التصفح في 19 مارس 2019، متوفر على الرابط: https://annabaa.org/arabic/print/10898

[10]– مجموعة من المؤلفين، **التيار اليميني في الغرب الصعود والتأثير**، مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات، الطبعة الأولى2017 ، ص 11.

[11] –jean-yves camus, **l'extrême droite et la droite radicale,** le monde diplomatique, Mercredi 11 juin 2014

[12]– Gilles Ivaldi, **L'Europe face aux droites radicales populistes : positions partisanes et demandes électorales,** article scientifique Présenté dans la conférence intitulée, « L'identité européenne en crise ? Les stratégies d'appropriation et de redéfinition de la notion d'identité européenne par les acteurs d'extrême droite et de populisme de droite » Publié par l'Université des Sciences Appliquées de Fulda, janvier 2015, p. 2.

[13]– رابح زغوني، **الإسلاموفوبيا وصعود اليمين المتطرف في أوروبا: مقاربة سوسيو ثقافية** المستقبل العربي، عدد 421، (مارس 2014)، ص 1.

[14] – علاء بيومي، **إسلاموفوبيا أحزاب اليمين الراديكالي الأوربية الجديدة**، جريدة الحياة، عدد 19 نوفمبر ،2006 ص 1.

[15]– علاء بيومي، **إسلاموفوبيا أحزاب اليمين الراديكالي الأوربية الجديدة**، مرجع سابق، ص3.

[16]–PIERO IGNAZI, **LES PARTIS D'EXTRÊME DROITE EN EUROPE DE L'OUEST, Les Cahiers du CEVIPOF,** Avril 2011 n° 53, P. 60.

[17] – Ibid, p. 70.

[18]– عزمي بشارة، **الشعبوية والأزمة الدائمة للديمقراطية**، مجلة سياسات عربية، عدد 40، 2019، ص 10.

[19] – جيلالي بشلاغم، **العلاقات الجزائرية الفرنسية في ظل سياسات اليمين المتطرف**، مكتبة الوفاء القانونية، الإسكندرية، 2015، ص 303

[20] – جيلالي بشلاغم، **المرجع نفسه**، ص 130.

[21] – سلوى بن جديد، **فرنسا وتنامي تيار الرفض للاتحاد الأوروبي**، مجلة السياسة الدولية، عدد 208 افريل 2016 ، ص 88.

[22] – Claude Latta**, Histoire de l'extrême droite en France,** Centre social de Montbrison, mars 1998, p. 3.

[23] –Jean Vavasseur-Desperriers, **Les droites en France, op cit**, p.18

[24]– بلال التليدي، **اليمين المتطرف في فرنسا**، مجلة أواصر العدد الأول صيف 2017، ص1.

[25]– جيلالي بشلاغم، **العلاقات الجزائرية الفرنسية في ظل سياسات اليمين المتطرف، مرجع سابق**، ص154.

[26] – مجموعة من المؤلفين، **التيار اليميني في الغرب الصعود والتأثير، مرجع سابق**, ص 18.

[27]– سلوى بن جديد، **فرنسا وتنامي تيار الرفض للاتحاد الأوروبي، مرجع سابق**، ص90.

[28] - Pascal Delwit, **Le Front national : Mutations de l'extrême droite française**, Université de Bruxelles, janvier 2012, p12.

[29]– Jean-François Sirinelli, **Vie politique française au xxe siècle,** Presses Universitaires de France, 1995, p. 574.

[30] – Jean-François Sirinelli, Vie politique française au xxe siècle, Op. Cit. p 29.

[31]- Alain Bergounioux, Le **Front national de Marine Le Pen Apparences et réalités,** Revue Socialiste, février 2012, p 6.

[32] – Alexandre Dézé, Le Front national : à la conquête du pouvoir ?, Paris : Armand Colin, 2012, p 194.

[33]– عبدالله جناحي، **الايدولوجيا والهوية في التنظيمات السياسية**، مجلة الديمقراطي، جمعية العمل الوطني الديمقراطي البحرين، العدد 4، ص 1.

[34] – أوس حسن، **الإنسان والدولة في فلسفة توماس هوبز**، جريدة القدس العربي، عدد 9 نوفمبر 2020.

[35]– Magali Balent, La " vision du monde" du Front national : Quel devenir après le départ de Jean-Marie Le Pen ?,p 3 .

[36] – Alain BIHR, **L'actualité d'un archaïsme. La pensée d'extrême-droite et la crise de la modernité**. Nouvelle édition augmentée, Op. Cit. p. 4.

[37] –عمران عبد الله، **ترسانة أفكار التفوق العرقي.. هل ينبغي اعتبار مارتن هايدغر فيلسوفا مركزيا لليمين المتطرف؟**، موقع شبكة الجزيرة الإعلامية، 24 جويلية، 2020، تم التصفح في 4 مارس2020، متاح على الرابط: **https://www.aljazeera.net/news**

[38] –**Le Front national et l'immigration,** Article publié le 7 août 2020 (modifié le 9 décembre 2020) sur le site : Histoire coloniale et postcoloniale, Consulté le 13 mars 20020, Disponible sur le lien : https://histoirecoloniale.net/-Presentation-du-site-519

[39] طيبي غماري، **الإسلاموفوبيا: مصطلح زائف لظاهرة حقيقية**، الدوحة: منتدى العلاقات العربية والدولية، الطبعة الأولى 2017، ص28.

[40] –Jean Vavasseur-Desperriers, Les droites en France, Presses universitaires de France, Paris : 2006, p.128.

[41] –Pascal Delwit, **Le Front national : Mutations de l'extrême droite française**, **op. Cit.** p.115.

[42] Daniel Stockemer**, The Front National in France: Continuity and Change Under Jean-Marie Le Pen and Marine Le Pen,** library of Congress; Springer international publishing 2017, p 13-14.

[43] –Daniel Stockemer, The Front National in France: Continuity and Change Under Jean-Marie Le Pen and Marine Le Pen, OP .Cit, P 24.

[44] – Edwy Plenel**, Pour les musulmans, Op.Cit,** p.22.

[45] – علاء الدين دوغرو، **بروفيسور فرنسي: عداء باريس للإسلام مرتبط بماضيها الاستعماري**، موقع شبكة الأناضول، 9 مارس 2021 تم التصفح في:11 ماي 2021، مُتاح على الرابط: **https://www.aa.com.tr/ar**

[46]– مجموعة باحثين، **الإسلام الأوروبي صراع الهوية والاندماج**، مرجع سابق، 142.

[47] – منير مباركية، **مفهوم المواطنة في الدولة الديمقراطية المعاصرة وحالة المواطنة في الجزائر**، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى 2013، ص49.

[48] – منير مباركية، **المرجع نفسه** ، ص 50.

[49] – محمد هنيد، **مسلمو فرنسا والمشاركة الانتخابية**، موقع شبكة الجزيرة الإعلامية، 6 مارس 2017 تم التصفح في: 11 ماي 2020، مُتاح على الرابط: **https://www.aljazeera.net/opinions**

[50] محمد هنيد، **المرجع نفسه.**

[51] – عبد النور بن عنتر، **صعود أقصى اليمين في فرنسا.. الواقع والأسباب والهواجس، مرجع سابق**، ص 19.

[52] – عبد النور بن عنتر، المرجع نفسه، ص 19.